السيرة النبويّة

الهجرة إلى الحبشة

إعداد ورسوم:

ماهر عبد القادر

أَجْمَعَ زُعَمَاءُ قُرَيْشٍ أَمْرَهُمْ عَلَى مُحَارَبَةِ الدِّينِ الجَدِيدِ ..

وَرَاحَ أَبُو لَهَبٍ عَمُّ النَّبِيِّ يَسِيرُ خَلْفَ الرَّسُولِ ﷺ فِي مَوْسِمِ الحَجِّ يُحَذِّرُ وُفُودَ الحَجِيجِ حَتَّى لَا يَسْمَعَ لَهُ أَحَدٌ أَوْ يُصَدِّقَهُ ..

وَيَقُولُ: إِنَّهُ ابْنُ أَخِي وَأَنَا أَعْلَمُ النَّاسِ بِهِ فَهُوَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ!!

فَلَمْ يَنْجَحْ النَّبِيُّ ﷺ فِي هِدَايَةِ أَحَدِ الحُجَّاجِ فِي هَذَا المَوْسِمِ.

رَغْمَ أَنَّهُ الْتَقَى بِوُفُودِ الْعَدِيدِ مِنْ الْقَبَائِلِ مِثْلَ وَفْدِ كِنْدَةَ، وَبَنِي حَنِيفَةَ لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَجْلِسُونَ عَلَى أَبْوَابِ مَكَّةَ لِيُحَذِّرُوا الْقَادِمِينَ مِنْ الْحَدِيثِ مَعَهُ.

كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُحَاوِلُونَ تَشْوِيهَ الدِّينِ الْجَدِيدِ .. بَلْ إِنَّ أَحَدَهُمْ وَيُدْعَى النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ جَاءَ مِنْ الْحِيرَةِ وَتَعَلَّمَ الْأَسَاطِيرَ الْفَارِسِيَّةَ ..

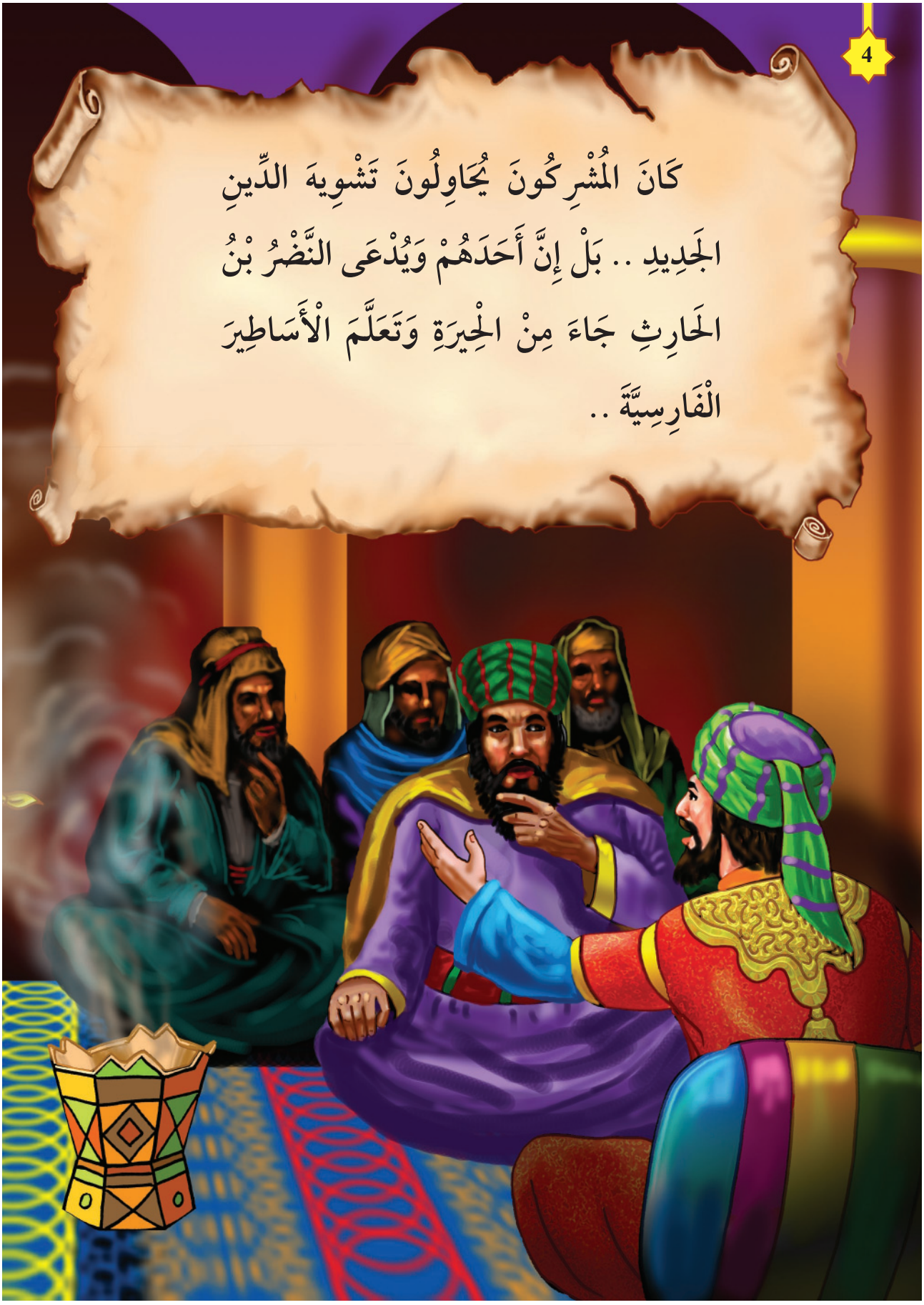

فَكَانَ يَجْلِسُ وَيَقُولُ: إِنَّ حَدِيثَهُ أَمْتَعُ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدٍ ﷺ .. وَيَحْكِي لِلْمُشْرِكِينَ أَحَادِيثَ رُسْتُمَ وَإِسْفِنْدِيَارَ، وَكَانَ لَهُ جَارِيَةٌ مُغَنِيَّةٌ يَأْخُذُهَا إِلَى أَيِّ وَاحِدٍ يَمِيلُ لِلْإِسْلَامِ.. فَتُغَنِّيَ لَهُ وَتُسْكِرُهُ بِالخَمْرِ حَتَّى يَعُودَ عَنْ الْإِسْلَامِ.

بَدَأَ الْاضْطِهَادُ يَنْصَبُّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ فَكَانَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ يُعَذِّبُ بِلَالَ بْنَ رَبَاحٍ عِنْدَمَا تَلْتَهِبُ الرِّمَالُ فِي الظَّهِيرَةِ وَيَضَعُ حَجَرًا ثَقِيلًا عَلَى صَدْرِهِ .. بَيْنَمَا يَظَلُّ بِلَالٌ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ: أَحَدٌ أَحَدٌ ..

كَذَلِكَ عَذَّبَ أَبُو جَهْلٍ آلَ يَاسِرٍ وَطَعَنَ سُمَيَّةَ زَوْجَةَ يَاسِرٍ بِحَرْبَتِهِ، وَهِيَ أَوَّلُ شَهِيدَةٍ فِي الْإِسْلَامِ وَشَدَّدَ الْعَذَابَ عَلَى ابْنِهَا عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ حَتَّى وَافَقَهُمْ عَلَى سَبِّ مُحَمَّدٍ وَتَعْظِيمِ اللَّاتِ وَالْعُزَّى.. وَبَعْدَهَا ذَهَبَ يَبْكِي لِلرَّسُولِ مُعْتَذِرًا .. فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ [النحل:106] وَكَانَتْ أُمُّ أَنْمَارٍ الْخُزَاعِيَّةِ تُعَذِّبُ خَبَّابَ بْنِ الْأَرَتِّ بِالنَّارِ وَتَكْوِيهِ لِيَكْفُرَ..

تَعَرَّضَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ لِأَذَى الْمُشْرِكِينَ هُوَ الْآخَرُ .. وَكَانَ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عَدَاوَةً لَهُ أَبُو جَهْلٍ (فِرْعَوْنُ الْأُمَّةِ) .. فَقَدْ ذَهَبَ يَوْمًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ حامِلًا حَجَرًا ثَقِيلًا وَأَقْسَمَ أَنْ يُهَشِّمَ رَأْسَهُ فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْهُ رَأَى جَمَلًا ضَخْمًا ذَا أَنْيَابٍ يَكَادُ يَلْتَهِمُهُ فَسَقَطَ الحَجَرُ مِنْ يَدِهِ وَخَافَ وَفَرَّ هَارِبًا .. لَمَا سُئِلَ النَّبِيُّ عَنْ هَذَا قَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ كَانَ سَيَلْتَهِمُهُ إِنْ اقْتَرَبَ..

وَكَذَلِكَ ذَهَبَتْ أُمُّ جَمِيلٍ وَفِي يَدِهَا حَجَرٌ لِتَضْرِبَ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ لَكِنَّ اللهَ أَخَذَ بَصَرَهَا عَنْهُ فَلَمْ تَرَهُ .. كَذَلِكَ جَاءَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيطٍ بِأَمْعَاءِ جَمَلٍ قَذِرَةٍ وَوَضَعَهَا عَلَى ظَهْرِ النَّبِيِّ وَهُوَ سَاجِدٌ عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَالْجَمِيعُ يَضْحَكُونَ حَتَّى جَاءَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَنَظَّفَتْهُ وَحَمَلَتْهُ عَنْهُ وَالْأَمْثِلَةُ كَثِيرَةٌ عَلَى إِيذَاءِ النَّبِيِّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

اشْتَدَّ الْأَذَى وَالْعَذَابُ بِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ يَسْتَطِعْ الدِّفَاعَ عَنْهُمْ .. فَقَالَ لَهُمْ:

«لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَإِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ، حَتَّى يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ».

فَخَرَجَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ وَفَرُّوا بِدِينِهِمْ إِلَى اللهِ وَكَانَتْ هَذِهِ أَوَّلُ هِجْرَةٍ فِي الْإِسْلَامِ.. وَكَانُوا عَشْرَةَ رِجَالٍ وَأَرْبَعَ نِسْوَةٍ بَيْنَهُمْ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانٍ وَزَوْجَتَهُ رَقَيَّةَ بِنْتَ النَّبِيِّ ﷺ وَحَاوَلَ الْكُفَّارُ اللُّحُوقَ بِهِمْ لَكِنَّهُمْ فَشَلُوا.

خَرَجَتْ مَجْمُوعَةٌ أُخْرَى مِنْ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَبَشَةِ عَدَدُهَا أَكْبَرُ مِنْ الْأُولَى اقْتَرَبَتْ مِنْ مِائَةِ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ .. وَظَلُّوا مُدَّةً طَوِيلَةً لَمَّا وَجُدُوا الْأَمْنَ وَالْحِمَايَةَ مِنْ مَلِكِهَا النَّجَاشِيِّ .

وَقَدْ عَادَ بَعْضُهُمْ بَعْدَ أَنْ أُشِيعَ أَنَّ قُرَيْشًا أَسْلَمَتْ حَيْثُ سَجَدَ الْمُشْرِكُونَ مَعَ النَّبِيِّ حِينَ قَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ النَّجْمِ .. لَكِنَّهُمْ بَرَّرُوا سُجُودَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَكَاذِيبِهِمْ فَعَادَ الْمُهَاجِرُونَ إِلَى الْحَبَشَةِ.

أَرْسَلَ الْكُفَّارُ إِلَى الحَبَشَةِ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ وعَبْدَ اللهِ بْنَ رَبِيعَةَ –قَبْلَ إِسْلَامِهِمَا– إِلَى النَّجَاشِيِّ لِيُعِيدَ إِلَيْهِمْ الْمُسْلِمِينَ الْمُهَاجِرِينَ وَقَدْ جَاءَا بِالْهَدَايَا النَّفِيسَةِ وَقَالُوا لَهُ إِنَّ هُنَاكَ بَيْنَ الْعَبِيدِ وَالسُّفَهَاءِ مَنْ فَارَقُوا دِينَ آبَائِهِمْ .. وَلَمْ يَدْخُلُوا إِلَى دِينِكَ ..

فَأَحْضَرَهُمْ النَّجَاشِيُّ وَتَحَدَّثَ عَنْهُمْ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَحَدَّثَهُ عَنْ الْإِسْلَامِ وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَرَأَ لَهُ مِنْ سُورَةِ مَرْيَمَ .. فَبَكَى النَّجَاشِيُّ وَأَسَاقِفَتُهُ وَرَدَّ الهَدَايَا إِلَى قُرَيْشٍ .. وَأَمَّنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى دِينِهِمْ..

شَعَرَ أَبُو طَالِبٍ بِأَنَّ قُرَيْشًا تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَ مُحَمَّدًا ﷺ فَأَرْسَلَ إِلَى بَنِي طَالِبٍ وَبَنِي هَاشِمٍ لِيُنَاصِرُوهُ .. فَوَافَقُوا جَمِيعُهُمْ مَنْ آمَنَ وَمَنْ كَفَرَ حَمِيَّةً لِلْقَبِيلَةِ ..

إِلَّا عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ انْسَحَبَ مِنْ مَجْلِسِهِمْ !!